

العربية بين الواقع والطموح

الدكتور / محمد كشود

وزير العلاقات مع البرلمان

يسعدني تلبية لرغبة المجلس الأعلى للغة العربية أن أساهم بمقالة متواضعة بمناسبة إصدار العدد الأول من مجلته، التي نرجو لها كل التقدم والازدهار، ودوام معالجة القضايا الوطنية، ولاسيما ما يهتم بالعربية، باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية طبقا للدستور الجزائري. أود في البداية، أن أشير إلى أن الحديث عن موضوع العربية أو اللسان العربي - بالمفهوم الحديث - حديث ذو شجون ليس في الجزائر فحسب، بل في جميع الدول العربية، وأن الدخول في تفاصيله قد يؤدي بنا إلى الإسهاب، الذي قد يخرجنا عن مضمون هذه المقالة.

كما أن الاختصار فيه يفقدنا بعض الحقائق التي كان لزاما علينا التطرق إليها تعميما للفائدة.

وعلى هذا الأساس سأخصص معظم أرائي في هذا الموضوع لمكانة اللغة وارتباطها بالمحيط العملي في مختلف الدول العربية ومن بينها الجزائر بطبيعة الحال. بالنسبة للجزائر — لاشك وأن هناك نية متوفرة لدى الدولة في تطبيق تعميم استعمال اللغة العربية في الميدان العملي وذلك منذ الاستقلال.

تلك النية التي تتجلى في الوثائق المعيرة عن ذلك من تعليمات، ومناشير، ومقررات، وقرارات، إلى المراسيم التنفيذية، والرئاسية، والقوانين، وجميع دساتير الجزائر ومواثيقها. كلها تحث على ضرورة جعل اللغة العربية في المجال العملي الميداني فعليا، وذلك باعتبارها إحدى المقومات الأساسية للأمة الجزائرية. وهذا لا يعني تهميش اللغات الأجنبية الأخرى التي تعد من بين اهتمامات الشعب الجزائري للتفتح على العالم. بل العكس لقد أصبحت تحظى بعناية كبيرة منذ الاستقلال.

ولذا، فإن إيهام الغير بأن اللغة العربية في صراع مع لغات أجنبية إن هو إلا آراء مردود عليها لا تستند إلى أية حقيقة، كما أن القول أيضا بأن اللغة العربية هشت اللهجات

الجزائرية المختلفة، لا يعدو أن يكون إلا إدعاء وافتراء عليها، لأنها كانت دائما السند القوي للهجرات، وقد عايشتها عن كثب وبدعم، وتاريخ الجزائر الحديث يثبت ذلك.

أما سبب تهميش اللغة العربية في حد ذاتها والإحالة دون تمكثها من مواكبة التطور مع الأحداث فذلك يعود في اعتقادنا، إلى أسباب عديدة.

ومن هذه الأسباب، السياج الذي أقامه الاستعمار الفرنسي حولها منذ أن وطئت أقدامه بلادنا، حيث راح يعمل على طمس ثقافتنا، ومحاولة محوها من الأساس بغية الوصول إلى غرضه ألا وهو القضاء على الهوية الوطنية بالدرجة الأولى، ومسح الشعب الجزائري وذلك عن طريق:

1- محاولة تجهيل الشعب الجزائري: من أجل فقدان ذاكرته، ومحو آثار هويته. حتى يعمه الجهل في المرحلة الأولى، ليلقنه تعاليمه الجديدة في المرحلة الثانية، وبالتالي يصبح يعيش بهوية جديدة غير هويته، ونكران ذاته.

2- التهجير: عمل الاستعمار على تهجير أفراد الشعب. وذلك من أجل فك الروابط الأسرية التي كان يمتاز بها الشعب الجزائري. حتى يجعله في منأى عن التوافق والتوحيد والتناصر والتكتل ويستولي على أملاك المواطنين وأراضيهم لتوزع على المستوطنين الغرباء اللذين جيء بهم من مختلف أوطان أوروبا.

3- التفجير: عمل الاستعمار على تجويع الشعب، وجعله يجري وراء قوت عائلته بشق الأنفس، حتى لا يترك له فرصة التلاحم، والتآزر، والتماسك.

4- الوشاية بين المواطنين: استغل الاستعمار طيبة الشعب الجزائري وتمسكه بأصالته، والحفاظ عليها، مما أدى به إلى تحريف وتشويه بعض المفاهيم التي تعد من رصيد الشعب والتي يعتبرها، مثل: القبائلي، البربري، الشاوي، وعمل على ترسيخها على أساس أنها عوامل

تفرقة بعيدة عن مدلولاتها الحقيقية كمفهوم قبائلي الذي يعني في اللغة الانتماء إلى القبيلة التي تجمع أفرادها رابطة الدم من جد واحد. مصداقا لقوله تعالى: "إنا خلقناكم من نكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم" صدق الله العظيم.

أما كلمة "شاوية" فهي كلمة عربية فصحي تعني المكان الذي ينتج المحاصيل الزراعية بالوفرة، ولذا يمكن أن نطلق على أي إنسان إذا كان يسكن مكانا معروفا عليه بشساعة مساحته، ووفرة محاصيله، بأنه شاو.

كما قد تكون مشتقة من كلمة شياه، ومشاية، والمهتمون بها هم شاوية.

وتعني كلمة بربري الأجنبي وقد جاءت على لسان اليونان عندما غزاهم الرومان. قالوا "نحن يونانيون أهل حضارة وأنتم أي الرومان برابرة أجنبيون عن حضارتنا. قبل أن يتبناها الرومان، ويوصف بها الوندال وسكان شمال أفريقيا فيما بعد.

وما دامت الكلمة تتغير حسب تغير الأحوال والظروف والحضارات - فإن كلمة بربري التي كانت تعني "الأجنبي" تغيرت هي الأخرى وتطورت إلى مفاهيم جديدة.

و قال بعض المؤرخين العرب بأن كلمة بربر تعني اسم جد قطن المغرب العربي قديما ويعود إلى الجد يافث بن نوح.

ومهما يكن من أمر فإن هذا المفهوم، وبغض النظر عن معناه الحقيقي، فإنه استخدم من طرف الاستعمار لغرض التفرقة والوشاية.

ومع كل هذه المحاولات بمختلف أنواعها صدمت الجزائر متمسكة بعاداتها، وبلهجاتها، وبلغتها العربية.

لماذا نقول؛ نحن ننتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية؟

قبل كل شيء لابد أن نشير إلى أن الحضارة لا تعني العرق. وفي اعتقادي ليس هناك من يدعي بأنه ينتمي إلى جنس معين عن طريق العرق وذلك لأسباب الانصهار. والانضمام الذي تم بين الشعوب منذ القدم.

فحتى العرب في حد ذاتهم لم يبق عرقهم بمنأى عن الاندثار بل التاريخ أثبت لنا بأن هناك عرب عاربة وهذه قد أبيدت، وعرب "مستعربة" وهذه التي منها محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أي أنه من العرب المستعربة التي مازالت باقية.

وعلى هذا الأساس أجاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عندما سئل ذات يوم عن هم العرب؟ فأجاب بما معناه أن كل من يتبنى اللغة العربية هو عربي.

بمعنى هذا أن الحضارة هي عبارة عن معطيات الحياة المتدرجة، فهي:

العادات — تنتقل إلى التقاليد — تنتقل إلى الأعراف — تنتقل إلى الثقافة — فتنقل بدورها إلى الحضارة.

فالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية ليس معناه الانتماء إلى العرق، ولكن الانتماء إلى التدرجات السالفة الذكر التي تبناها أسلافنا، وأكدها أجدادنا، وضحي من أجلها شهداؤنا، وثبتها بصفة قطعية دستور 1996. وفيما يتعلق باختيار الانتماء، فذلك يعود إلى الضرورة الملحة لاختيار حضارة معينة - فقد كانت هناك حضارات آنذاك تعد تقريبا على أصابع اليد وهي: الحضارة الفرعونية، والحضارة الهندية، والحضارة الإغريقية، والحضارة الرومانية المسيحية، والحضارة العربية الإسلامية، وبما أن من دين العناصر الأساسية للحضارات، اللغة، وأن أجدادنا اختاروا اللغة العربية، فكان لابد علينا أن نكون داخل خانة من هذه الخانات، وبهذه الكيفية تم اختيار الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية من طرف أسلافنا.

لماذا تعد اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية في الجزائر؟

في الحقيقة، الإجابة على هذا السؤال يعد من البديهيات، وتفسير ذلك كمن يريد أن يفسر الماء بالماء، باعتبار أن لغة الشعب الجزائري هي العربية منذ أربعة عشر. (14) قرنا، بالإضافة إلى خصائص الدولة الجزائرية كدولة موحدة وبسيطة. حيث يوجد في التاريخ المعاصر نوعان من الدول وهما:

أ-الدولة الموحدة البسيطة-مثل الجزائر، والدول العربية الأخرى، ومعظم دول العالم.

ب-الدولة المركبة سواء كانت فدرالية أو كنفدرالية كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفياتي سابقا أو سويسرا، أو بلجيكا، أو أمريكا، إلى غير ذلك. فبالنسبة للدولة الموحدة البسيطة: مثل الجزائر، أو فرنسا، أو الدول العربية، فلا بد أن تتوفر فيها شروط وهي:

1- الوحدة الإقليمية.

2- الوحدة اللغوية.

هذه الشروط الثلاثية تجمعها المقومات الأساسية للمجتمع، وهي: الدين - اللغة - الأمالي - الأمان - الأهداف المشتركة - التاريخ المشترك - والحدود المشتركة. بالنسبة للدول المركبة لا تشترط توفير العناصر الثلاثة المذكورة سافا. وبما أن الجزائر تتوفر على الشروط المخصصة للدول البسيطة الموحدة، فكان عليها أن تعلن للملا عن لغتها الوطنية الرسمية.

وليس معنى هذا أيضا أن الشعوب التي تتبنى لغة وطنية رسميه بأنها تنتمي بالضرورة إلى عرق أصحاب هذه اللغة، بل فقط لأنها هي اللغة السائدة عند الشعب بأكمله وهي التي يتبناها وهي عامل من عوامل وحدته، وسيادته، وبناء حضارته.

خذ لذلك، مثال فرنسا تتكون من الفيكينك، والسات، والغال، وأعراق أخرى، ولغاتها العرقية هي لغات سكانها الأصليين التي أصبحت فيما بعد لهجات، أما اللغة الفرنسية فهي لغة "الإفرنج" وهي القبيلة الجرمانية الأصل التي جاءت تقطن

ضواحي باريس قديماً، حيث تمكنت من فرض لغتها عن طريق "فرنسوا الأول" الذي رسمها في القرن الخامس عشر 15.

إذ أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الوطنية والرسمية للفرنسيين وأصبحت تسمى باسمهم.

ولا أعتقد أن هناك من يحتج على هذه اللغة التي أصبحت لغة أجداده منذ خمسة- أو ستة قرون مضت، فما بالك باللغة العربية التي أصبحت لغة الجزائريين منذ أربعة عشر قرناً؟

تهم تكشفها حقائق:

يتهم البعض اللغة العربية بهتاناً على أنها همشت لغات، أو لهجات مختلف الجهات في الجزائر.

وهذا غير صحيح، لأن اللغة العربية لم تكن في يوم من الأيام عائقاً في وجه اللهجات الأخرى بل بالعكس، فقد شجعت هذه اللهجات على البقاء، وتعايشت معها في ظل المودة، والتآزر، بدون أية خلفيات منذ أمد بعيد.

يرى البعض على أن اللغة العربية متخلفة باعتبارها لغة الأدب والشعر، بينما اللغة الفرنسية لغة العلم والتكنولوجيا، ويدعو إلى تبني اللغة الفرنسية مكانها.

والحقيقة أن التخلف ليس في اللغة بقدر ما هو في الفكر عند الإنسان، فاللغة هي وسيلة للاتصال ونقل المعلومات، ومتى كان الحكم على اللغة بالتخلف إذا ما كانت ثرية في آدابها.

فاللغة في اعتقادنا كالإنسان مركبة من روح ومادة وتطورها يدخل مسارها في الأوساط الحضارية.

فالذي يخترع أداة تكنولوجية ما، له أن يسميها بما يشاء، والذي يأخذ بهذه الأداة أن يحترم تسميتها كما سماها مخترعها.

ففي مجال تقييم صلاحية اللغات لاستعمال المعلوماتية نجد بأن اللغة العربية تأتي في الدرجة الأولى، لأنها تمتاز بخاصية الاشتقاق، وبغنى مفرداتها الذي تفتقره اللغات الأخرى

وقد جاء على لسان معظم الباحثين في مجال المعلوماتية بأن اللغة العربية المؤهلة أكثر من غيرها لاحتواء هذا العلم، حيث قال البعض: وكأن المعلوماتية أنشئت من أجل أن تستعمل باللغة العربية، إذن عيب التخلف ليس فيها بل في مستخدميها.

كما أن علينا أن نفرق ما بين إمكانية دراسة التكنولوجيا بلغات أجنبية، وما مكننا من ذلك باللغة العربية. فهذا يعود إلى أصحاب الاختراع اللذين تمكنوا أن يخترعوا دة ، اللغات، ولم يتمكن اللذين يستخدمون اللغة العربية من ذلك - والعيب في هذه الحالة ليس في اللغة في حد ذاتها، بقدر ما هو عيب الأفراد الباحثين.

لو ذهبنا في نفس الطرح وحاولنا مقارنة اللغات على أساس الاختراع، والقدرة على التعبير، والتعامل بها.

فأين هي مكانة اللغة الصينية، واليابانية، ونحن نعلم أن حروف أبجدياتها ؛ إذ تحفظ لكثرتها، بينما تعد من اللغات التي تتحكم في التكنولوجيا، وكنا بالنسبة للعبرية التي كانت مية إلى عهد قريب. دعنا نضرب مثلاً بالمخترع نيوتن هذا الرجل الذي استطاع إدخال نظرية علمية جديدة وهي: نظرية الجاذبية. هل كانت نظريته نتيجة غزارة علم للغة المتحصل عليها، في -القرون الوسطى- لقد لفت انتباهه وهو نائم تحت شجرة تفاح سقوط حبة عليه، فتأملها جداً ثم تساءل لمانا سقطت هذه التفاحة نحو الأرض، ولم تصعد نحو الأعلى؟ ومن هنا اخترع نظرية الجاذبية.

هذا الاختراع كان نتيجة نبوغه وتأملاته وبحوثه الدؤوبة حتى فسح المجال من خلال تساؤلاته وكانت النتيجة ما هي عليه الآن نظريته.

إن الذين يتذرعون وراء اللغة الفرنسية بأننا فرضت وجودها منذ دخول الاستعمار بلادنا إلى اليوم. ولذا يجب إبقاء التعامل بها ريثما تتوفر شروط تعميم استعمال اللغة العربية.

إنما يدعون دعاء بمثابة حق أريد به باطل، بحجة أن اللغة الفرنسية لم يشرع في تدريسها للجزائريين إلا بعد مرور حوالي 70 سنة من دخول الاستعمار، وذلك للأسباب السالفة الذكر من جهة، وأن الشعب الجزائري لم يقبل تعلمها خوفاً من تهيمش لغته العربية والقضاء عليها، وحتى يتفرغ للكفاح المسلح في هذه المدة من جهة أخرى.

بعد أن استقرت نسبياً وضعية الاستعمار في بلادنا شرع في تعليم اللغة، الفرنسية للمستوطنين وهم من مختلف أجناس أوروبا الذين كانوا يجهلون بدورهم هذه اللغة. وحرّمها على الشعب الجزائري نسبياً ليبقيه شبه أمة مع تحريم تعلم اللغة العربية حيث جعل منها لغة أجنبية، فكانت النتيجة سنة 1962 حوالي 97.5% من الشعب. الجزائري أمة — والباقي أي 2.5% يوجد من بينها 99% دون الشهادة الابتدائية. إذاً إن القول: بأن اللغة الفرنسية فرضت وجودها غير صحيح، لأن الشعب الجزائري لم يكن متعلماً هذه اللغة بالقدر الكافي

إلا بعد الحصول على الاستقلال، حيث خدمها في هذه المدة أكثر مما خدمتها فرنسا في إفريقيا جمعاء منذ 1830 إلى 1962.

يتهم الشعب الجزائري بأنه لا يتحكم في اللغة العربية إذ لابد من إضافة ا للإبقاء على الفرنسية ريثما تتوفر الشروط المطلوبة للتغيير.

وبعدّ هذا الاتهام باطل: فبعملية حسابية بسيطة، وحسب الإحصائيات الأخيرة، فإن عدد سكان الجزائر يقارب 30 مليون نسمة، 75% منهم أي 22 مليون لا تزيد أعمارهم عن 35 سنة.

وبما أن اللغة العربية أدرجت بصفة إجبارية في التعليم منذ الاستقلال أي مدة 37 سنة، فهذا يعني أن أكثر من 22 مليون يحسنون اللغة العربية، فأين هو المشكل إذن؟

المجهودات التي بذلتها الدولة في تعميم اللغة العربية باعتبارها لغة وطنية ورسمية؟

لاشك وأن الجزائر منذ أن نالت استقلالها، تبنت عملية تعميم استعمال اللغة العربية في مدارسها. ونصت عليها في جميع دساتيرها منذ 1963 باعتبارها اللغة الوطنية الرسمية. وابتداء من سنة 1967 أخذت تحت على ضرورة العمل بها في الإدارة، فقننت نصوصا تشريعية متفاوتة، كما أشرنا من قبل.

وما كان ينقص ذلك إلا عملية تطبيق هذه النصوص التشريعية على الواقع العملي. وإذا تمعنا في الأسباب نجد منها ما هو منطقي، ومنها ما يعد بمثابة تعنت، واستخفاف من بعض الحاقدين أو الجاهلين بمكانة اللغة الوطنية عند الشعب صاحب السيادة.

كيف كان تعامل الإدارة مع اللغة الوطنية في ظل الاستقلال؟

فبعد 1962 ذهب المستدمر وترك من ورائه الجزائريين اللذين كانوا يشتغلون في الإدارة الفرنسية بمختلف مستوياتهم، هؤلاء البقايا كانوا قد تصرفوا في إصدار. نصوص تشريعية حسب ما أملت عليهم تطلعاتهم ومعارفهم، وفي بعض الأحيان وجهاتهم، المستمدة من النصوص المختلفة الفرنسية دون مراعاة ملاءمتها مع وقع الشعب الجزائري وطموحاته. ومع ذلك لم يكن هناك خيار للاستغناء عن التجربة التي اكتسبها هؤلاء الـ موظفون من الإدارة الفرنسية، مما أثر إيجابا وسلبا فيما بعد.

فبالنسبة للإيجابيات تمكنت الإدارة من خلالها من مواصلة مهامها، والتحكم في مقتضيات التطور بمعالمه الجديدة، وجنبتنا المتعاملين الأجانب في هذا الميدان كما حصل في التعليم.

أما بالنسبة للسلبات، فلم تكن هناك نية حسنة في إدخال اللغة العربية ميدان التسيير، كما لم يتمكنوا من التخلص من البيروقراطية التي عرفت الإدارة الفرنسية في الماضي، قبل أن تتخلص منها فيما بعد، وذلك بالتعنت، والأنانية، والنجسية، أو قلة المعرفة على أضعف الإيمان، مما أدى بهم إلى التقليد الأعمى كما أسلفت.

وعلى هذا لاحظنا أن هناك تقصير في إدخال طرق حديثة في سير الإدارة لتتماشى مع الواقع الجديد، كما أن إدخال اللغة الوطنية في الإدارة لتحتل مكانتها الطبيعية، لم يكن مرغوب فيه، وبدون مبرر من جهات مختلفة لاسيما أولئك اللذين ناصبوا عداوا جهورا للغة العربية، مما أثر عليها سلبا في مواكبة عصر التطور.

كيف عالجت الجزائر مجال التعليم بعد الاستقلال؟

لم تكن النسبة الضئيلة التي كانت تحسن اللغة العربية كافية سنة 1962 لتأطير المدارس الجزائرية، مما جعل البلاد تلجأ إلى الأساتذة المعاونين بمختلف مستوياتهم،

وتوجهاتهم، من بلدان عديدة، رغم ما قد يحمله ذلك من خطر مختلف الايديولوجيات الموجهة إلى أبنائنا.

ومع ذلك فإن الشعب الجزائري تمكن في هذه المدة القصيرة من تخطي مراداً كبيرة، إن النتائج المتحصل عليها لخير دليل على ذلك، بالرغم من أن مدة هذه السنين في حياة الشعوب لا تكاد تذكر.

يتذرع البعض بالموقع الجغرافي للجزائر، ويعتقد أن اكتساب لغة مثل الفرنسية، تعد من الغنائم التي لا بد من الحفاظ عليها لضمان بقائنا، ضمن إطار المسار الحضاري، ومسايرة العولمة.

فعندما نسمع مثل هذا التذرع نتساءل وبكل دهشة، من منّ الجزائريين لا يريد أن يتعلم لغات عديدة وشعبنا تواق إلى دنا أكثر من غيره؟ من لا يريد أن يتكيف مع الحضارات، والعولمة في مختلف مناهجها؟ هل من الجزائريين من يريد أن يبقى متقوقعا على لغة واحدة ولو حتى على حساب لغته الرسمية؟ لا أعتقد أن فيه من يدعو إلى ذلك.

إن الجزائري الطموح بطبعه يريد أن يستعيد شخصيته عن طريق تعلم لغته (العمل بها في المجالات التي لا تتطلب إدخال لغات أجنبية، وصدق الأستاذ المرحوم مولود قاسم عندما تساءل أمام هؤلاء المتذرعين بحجج واهية. فهل الكتابة باللغة الفرنسية في القبور تدخل في عامل التكنولوجيا؟ نترك هنا الإجابة لمن يريد.

كما أن اللغة تبقى متخلفة بالمفهوم المراد من هؤلاء المدعين إذا لم تستخدم ولم يتعامل بها دون أدنى سبب، أو التفوق عليها دون مقارنتها باللغات الأخرى.

ويبقى الشعب الجزائري يطمح إلى تعلم لغات عديدة، ولكن قبل ذلك لابد. أن نمّح له الفرصة ليتعلم لغته الوطنية والرسمية ليتحصن بها مبدئياً ثم ليتمكن من التعامل بها،

والتخاطب بها، ولم لا الاختراع بها. وهذا لا يمنع أن ندخل لغات أجنبية أخرى لتكون المساعد الأساسي للمزيد في بحوثه وتطلعاته، ولهذا نرى من جانبنا:

1- تتطلب السنوات الابتدائية التحكم في اللغة الوطنية بصفة ثرية وقوية، ومفيدة، لتأمين بناء الشخصية الوطنية.

2- إن الطفل لا يستطيع أن يستوعب ازدواجية اللغة في سن مبكر، باستثناء بعض النبغاء، ولا أعتقد أنه يوجد من يريد أن يضحى بأجيال من أجل أقلية القلة؛ تف طيا وراء الطموح لتعلم لغات عديدة.

3- لقد جربنا بعد نيل الاستقلال عندما حاولنا تعليم أبنائنا ازدواجية اللغة في سن مبكر، فكانت النتيجة إما التفوق في لغة واحدة وذلك في أحسن الأحوال، وقد كانت اللغة الفرنسية هي الأوفر حظا لما كان لها من إمكانيات، أو الإخفاق التام في عدم التمكن من التحكم الجيد في أي من اللغتين

4- هناك تجارب دول أخذت بطريقة ازدواجية اللغة في سن مبكر - ومن بينها الجزائر - فكانت النتيجة العدول عن هذا الاختيار، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ضرورة تفوق اللغة الوطنية، كما أخذت دول بازواجية اللغة بعد تعدي تلامذتها السنوات الابتدائية فكانت نتائجها مرضية.

من هذه المعطيات علينا أن نناقش بكل موضوعية الأسباب التي حالت دون منح اللغة العربية مكانتها الطبيعية في المجتمعات العربية بما فيها الجزائر، وما هي التصورات التي نراها للخروج من هذه الأزمة النفسية؟

مأخذ عن مكانة اللغة العربية في عقر دارها:

1- إن معظم الدول العربية إن لم تكن كلها، هي عبارة عن سوق استهلاك لمنتجات أجنبية، من مواد غذائية، وتكنولوجيا، مما جعلها تتعلم لغاتها للتعامل بها، وهو أمر محبذ للوقوف عند هذا الحد.

لقد أدى هذا ببعض الدول العربية إلى أن تفرض اللغات الأجنبية لأبنائها وفي مدارسها ابتداء من السنة الأولى وذلك بحجة مسايرة العولمة، والتحكم في التكنولوجيا، وعدم التقوقع على النفس. والحقيقة أنها بقية بعيدة عن التحكم في التكنولوجيا بقدر ما هي أسيرة للمنتجات الأوروبية.

ولا يعني هذا أننا ندعو لمقاطعة تعلم اللغات الأجنبية، بل العكس لأن ذلك في عصرنا الحاضر من المسلّمات، وكل ما هنالك هو أن تكون اللغة الأجنبية مساعدة للمزيد من العلوم لا أن تصبح منافسة للغة الوطنية.

2- لقد كانت بعض الدول العربية متقدمة في العلوم باللغة العربية، قبل أن تتراجع عن ذلك، وتفسح المجال للغات الأجنبية، وهذا يعود في اعتقادنا إلى المحيط الفكري والثقافي المتردي وغير الملائم للباحث العربي مما أدى به للهجرة إلى أوروبا للمساهمة في الاختراعات باللغات الأوروبية على حساب اللغة العربية، وهكذا أصبحت البلدان العربية تزود البلدان الأوروبية بنبغاء أبنائها من جهة إلى جانب تحمل نفقات تكوينهم الباهظة من جهة أخرى.

3- الإعلام العربي لا يلعب دوره الكامل في إبراز معالم اللغة العربية، بل يترك، المجال للإعلام الغربي بإنتاجاته المختلفة، والهادفة، وذات الطابع الإغرائي.

4- عدم الاهتمام الكافي بالترجمة، التي تعد إحدى الأدوات الناجعة في ميدان، الاطلاع على العلوم، والتكنولوجيا، والتحكم فيها.

5- إصدار نصوص خاصة بالترعيب وعدم متابعة تطبيقها في الميدان.

هذه بعض النقائص أكون قد نكرت منها القليل من الكثير.

كيف يمكننا استدراك الوشع في هذه الحالة:

- 1- لابد أن يكون القرار السياسي للدول العربية في هذا المجال حازما غير قابل للتنازل لأن القضية قضية وجود أو لا وجود.
 - 2- يجب على بعض الدول العربية التي تحتضن الجامعات الانكليزية، أو الفرنسية، في بلدانها، أن لا تترك لها المجال الأول، بل تحاول أن توظفها لصالحها ومصالحها، وتتافسها وتكيفها مع الحقائق المعيشة، حتى تعود عليها بالفائدة وليس العكس.
 - 3- يجب التخلص من عقدة النوايا تجمعنا، والوقائع تفرقنا في مجال الاهتمام باللغة، باعتبارها إحدى عوامل الشخصية الوطنية للمحافظة على الذات.
 - 4- الاعتناء الكامل بالترجمة وتوسيع مجالها إلى مختلف العلوم والتكنولوجيا.
 - 5- ضرورة توحيد المصطلحات العربية وتحديدتها، لأن تشعبها كان إحدى السلبيات في عدم التحكم فيها.
 - 6- لابد من العودة إلى الإنتاج في مجال العلوم وباللغة الوطنية، ولا نكتفي بمدحها فقط من خلال دغدغة العواطف، والاكتفاء بالتبعية.
- إن اللغة الوطنية والرسمية عند جميع الشعوب تعد من المقومات الأساسية. لابد من الحفاظ عليها بدون خجل، ولا مركب نقص كما يحاول البعض إيهامنا على أن المهم هو النتيجة بغض النظر عن الوسيلة، إن كانت اللغة تعد حقا وسيلة في مفهوم الشخصية الوطنية؟
- إن تضحيات الشهداء كانت من أجل استرجاع حرية وسيادة البلاد، وهي تكمن في مقوماتها الأساسية ومن بينها اللغة الوطنية والرسمية، علينا الوفاء لهم.

لقد أصاب "فخته" الألماني الذي مات وهو ينادي بإحياء لغته، التي حاولت لغة نابليون غزوها، ففي خطابه إلى الأمة الألمانية. يعلن بان اللغة الألمانية هي اللغة الوديدة القادرة على الارتقاء بالشعب الألماني..

وكان يدعو الشعب الألماني إلى التشبث بلغته حيث قال ذات يوم: " إن الذين يتمادون في نكران الذات عن طريق إهمال لغتهم محكوم عليهم بالفناء الدائم". إن الذين يتشككون في قدرة اللغة العربية على مواكبتها العصر لاشك هم: كسلاء الفكر، وخاملو العقل، أو حاقدون، جاهلون، لا يؤمنون بذواتهم.

لقد كان كفاح الشعب الجزائري يرتكز أساسا على الإيمان بالمقومات الوطنية، ومن بينها اللغة باعتبارها إحدى عناصرها.

إن مطالب إعادة الاعتبار للغة العربية، هي من أجل اكتمال الشخصية الوطنية. ولا يعني هذا أننا نريد التوقع على لغتنا فقط، بل العكس إن الشعب الجزائري طموح لأن يفتح على العالم.

وفي الختام أقول: لقد حاولت من خلال هذا الطرح أن أكون موضوعيا بعيدا عن استخدام العاطفة بمفردها لأن ذلك لا يخدم بلادنا، لاسيما ونحن نعيش في موقع جغرافي يتطلب منا أن نكون متطلعين للعالم الخارجي، ومطلعين على أحواله كما يفعل هو ذلك، مع الحفاظ على ثقافتنا الوطنية.

كما حاولت أن أوضح بأنه ليس هناك صراع بين اللغة العربية والفرنسية، بل الصراع يكمن بين المنتمين فكريا لحضارة فرنسا، والداعين إلى إبقاء اللغة الفرنسية هي السائدة، وبين المدافعين عن الحضارة العربية الإسلامية، والمطالبة بإعادة الاعتبار للغة الوطنية بوصفها إحدى عوامل السيادة.

ومهما يكن فإن التعقل، والموضوعية، والمنطق، والروح الوطنية هي التي تتغلب في الأخير، وسوف ينتهي الصراع بتغلب الحق على الباطل. وصدق الشاعر حافظ إبراهيم الذي قال:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي	وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني	عقت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي	رجالا وأكفا ء وأدت بناتي
أنا البحر في أحشائه الدّر كامن	فهل سألوا الغواص عن صدقاتي